هوامش

تعتبر طروادة التركية معلماً سياحياً عالمياً مهماً اليوم، في حين تسعى أنقرة منذ سنوات إلى تعزيز نقاط جذب المدينة التاريخية القائمة على قصة الإلياذة اليونانية والكنوز المكتشفة

مجسم للحصان الخشبي الشهير (آلان غوشيه/ Getty)

طروادة التركية

مدينة الإلياذة هوميروس الملحمية

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

باتت مدينة طروادة غربي تركيا، العريقة في التاريخ، كاملة الأوصاف للجذب والاستكشاف، باعتبارها تتلاقى مع أحداث إلياذة هوميروس، تلك الملحمة الشعرية التي تتمحور حول قصة كسر جنود أسبرطيين (يونانيين) حصار طروادة، عبر «خديعة» التسلل إليها بعدما اختبأوا داخل حصان خشبي عملاق. وكانت المدينة أدرجت على قائمة «اليونسكو» الرئيسية للمدن التراثية قبل 23 عاماً، ثم شهدت افتتاح متحف خاص بها في عام 2019.

غالباً ما يقترن اسم مدينة طروادة في ولاية جناق قلعة شمال غربي تركيا بالحصان الخشبي الذي اختبأ فيه مقاتلون أسبرطيون تنفيذاً لخطة «الخدعة» التي وضعها ملكهم منيلاوس لدخول المدينة عبره، وقتل الطرواديين وحرق المدينة.

وتلتقي الروايات وإلياذة الشاعر الإغريقي هوميروس على أن أسوار طروادة أعجزت الإغريق بعد حصار استمر أكثر من عشر سنوات، خلال حرب نشبت بعد خطف زوجة ملك أسبرطة الأميرة هيلين. ثم لجأ منيلاوس إلى حيلة بناء حصان خشبي ضخم وزنه 3 أطنان وطوله 108 أمتار، وعرض إهداءه للإلهة مينيرفا، في طروادة، لكن أهل المدينة خافوا وطلبوا وضع الحصان على أبواب المدينة، وأعلنوا أنهم سينقلونه بنفسهم إلى الداخل. لكن ما إن حل الظلام حتى خرج الجنود من الحصان الخشبي، وفتحوا باب طروادة للإغريق المنتظرين، فدخلوا المدينة وأحرقوها وقتلوا أبناءها بنقمة ووحشية، ما أنهى حرب طروادة عام 730 قبل الميلاد.

مزار للعظماء

انطلاقاً من هذا التاريخ، تؤكد أستاذة التاريخ سيهان بولكجو قِدم المدينة وأهمية كنوزها التاريخية، وتقول لـ«العربي الجديد»: «يعود تاريخ طروادة إلى 5 آلاف و500 عام. لكن عمليات حفر آثارها خلال الدولة العثمانية تأخرت إلى عام 1863، حين كشفت دراسة مدنها العشر». تضيف: «تعتبر المدينة، بتأثير إلياذة هوميروس، مزاراً سياحياً ومركزاً تاريخياً ثقافياً، ليس في تركيا فقط، بل في العالم كله، وزارها عظماء العالم في التاريخين القديم والحديث، بينهم الإسكندر الأكبر المقدوني والسلطان العثماني محمد الفاتح، وصولاً إلى رؤساء دول أوروبية». وتشير بولكجو إلى أنّ «تبويب معالم وكنوز طروادة وتصنيفها، وتحديد التواريخ بدقة وتزويد السياح بمعلومات وخرائط إلكترونية، أنجزت بالكامل في شكلها النهائي، ما مهّد لافتتاح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان متحف طروادة عام 2019». وجرى الافتتاح في يوم ذكرى حرب «غاليبولي» أو حرب «جناق قلعة» التي شنتها قوات بريطانية – فرنسية مشتركة لمحاولة احتلال عاصمة السلطنة العثمانية إسطنبول في 18 مارس/ آذار عام 1915. وباتت المدينة اليوم إحدى أهم عواصم السياحة الثقافية والتاريخية بالعالم.

157 عاماً من الاستكشاف

وحول تأخر افتتاح المتحف وعمليات الحفر في المدينة، توضح بولكجو أن «البحث والاستكشاف لم يتوقفا طوال 157 عاماً. ومرّت الأعمال بمراحل عدة، لكن خصوصية المدينة وإبادتها وحرقها مرات عبر التاريخ أضفت خصوصية على البحث والاستكشاف. ربما أنجزت كل الاكتشافات، لكننا لا نزال نأمل بإيجاد آثار لمدينتي طروادة الأولى والثانية البائدتين، من أجل منح المدينة ميزات إضافية». تضيف: «حتى خلال الأشهر الأخيرة لأزمة فيروس كورونا، لم تتوقف لجنة التنقيب التركية عن العمل، على الأقل في مجال ترقيم نظم المعلومات للمواقع الأثرية، وواصلت التعاون مع مجمع التاريخ التركي والبلدية لتشييد ممر للمشاة ضمن المدينة الأثرية». ويتفق باحثون في التاريخ على أن طروادة أحرقت مرات وأن أجزاءً منها اندثرت بعد تعاقب الأزمنة والحضارات والحروب، وأنه لم يبق منها حتى القرن التاسع عشر إلا تلة كبيرة تدل عليها، حتى جاء عالما الآثار الألمانيان هنريك شليمان وويلهام دوربفلد وزميلهما الأميركي كارل بليغن عام 1871، وأجروا دراسات في مواقع التلة، وأعطوا تاريخاً لحفريات مدن طروادة العشر.

باختصار

ضاعت المدينة بمراحلها العشر أكثر من 1300 سنة حتى قدم شليمان ودوربفلد وبليغن، وحلوا الألغاز وخبايا التاريخ عام 1871

■■■

ركّزت تركيا عام 2018 على الترويج لتاريخ طروادة وخدماتها في الذكرى العشرين لإدراج المدينة على قائمة «يونيسكو»

■■■

المتحف المشيّد عام 2019 يعرض لوحة فسيفسائية تعود إلى 1800 عام قبل الميلاد، و24 قطعة ذهبية من «كنوز تروي»

تواريخ المدن العشر

سمح ذلك بتحديد تاريخ طروادة الأولى بين عامي 3200 و2600 قبل الميلاد، حين نشأت المدينة كحصن منيع يعيش داخله زعيم مع أسرته وخدمه في بيوت قليلة كبيرة محاطة بأسوار متينة، في حين كان الفلاحون وأرباب الحرف والتجار وصائدو الأسماك يعيشون في الخارج على منحدرات التلة أو في السهل.

ودمر حريق المدينة الأولى، ثم أعاد الأهالي تشييد طروادة الثانية التي صمدت بين عامي 2600 و2300 قبل الميلاد. وبنوا القلعة مجدداً، ووسعوا الأسوار ونصبوا بوابات ضخمة، وأقاموا في الوسط مبنى فخماً يُعتقد بأنه استعمل كقصر ومعبد في الوقت ذاته، ويحيط به 12 ألف منزل.

وأيضاً، أحرقت طروادة الثانية على أيدي غزاة، علماً أنّ معظم المعلومات عن ثرائها مصدرها مجموعات مختلفة من أشغال المعادن والمجوهرات التي أخفاها الأهالي قبل حلول الكارثة، وأشهرها كنز «بريام» الذي عثر عليه شليمان، ومجموعة من نوع مماثل عثر عليها في مدينة بوليوكني اليونانية. وبعد حرق طروادة الثانية، صمدت المدينة نحو 1400 عام بين 2300 و1900 قبل الميلاد، في ما يسمى طروادة الثالثة والرابعة والخامسة. لكن دراسات الآثار كشفت تخلّف سكانها في كل المراحل قبل أن تدخل المدنية والحضارة إليها خلال مرحلتها السادسة الممتدة بين 1900 و1275 قبل الميلاد، حين أقيمت على أيدي شعب مختلف وأكثر تحضراً أدخل حيوانات لم تشاهد سابقاً مثل الجياد، وأنشئت فيها صناعات الصوف، ونشطت التجارة. وكانت المدينة أكبر بكثير من سابقاتها، لكن زلزالاً دمرها عام 1800 قبل الميلاد، لينطلق بناء طروادة السابعة بين عامي 1275 - 1240 قبل الميلاد، على أيدي من بقي حياً من أهلها.

وباستثناء أسوارها الكثيفة المنيعة اختلفت طروادة السابعة بالكامل، إذ احتضنت آلاف المواطنين في أكواخ صغيرة متجمعة جنب بعضها البعض. وللمرة الأولى منذ أكثر من قرنين انعدمت التجارة مع اليونان التي أحرقت طروادة بعد حرب دامت نحو عشر سنوات مات فيها عدد كبير من جنود طروادة واليونانيين.

وامتدت حقبة طروادة الثامنة من عام 1240 حتى 1100 قبل الميلاد، ثم أبادها برابرة نازحون من وسط أوروبا. وبقيت مهجورة نحو ألفي عام، ثم ظهرت مرحلتها التاسعة بين عامي 1100 - 500 قبل الميلاد تحت الحكم اليوناني ببناء وهيئة جديدة، لكنها لم تعمر أكثر من مئتي سنة.

أما طروادة العاشرة فقامت بين عامي 500 و100 قبل الميلاد، حين بناها الرومان تكريماً لتحدرهم، بحسب الأساطير، من البطل الطروادي، أينياس. ومن أجل تشييدها كان يجب أن يدمروا قمة التلة، ما أزال آثار قصر الملك بريام. ثم سقطت طروادة الأخيرة بزوال الإمبراطورية الرومانية. وضاعت المدينة أكثر من 1300 سنة حتى قدم شليمان ودوربفلد وبليغن، وحلوا الألغاز وخبايا التاريخ عام 1871.

قد لا تزخر طروادة، كبلدة تاريخية صغيرة، بكنوز ظاهرة أو مقومات سياحية ترقى إلى مستوى تاريخها، فهي تضم أسواقاً شعبية، أشهرها أينالي وقلعة الساعة والبلدة القديمة «أسوس»، وتقع قرب جزيرتي جوكتشا وبوزجا، لكن تركيا ركّزت عام 2018 على الترويج لتاريخ طروادة وخدماتها في الذكرى العشرين للاعتراف بالمدينة التاريخية كموقع للتراث العالمي لـ «يونيسكو»، وزينت طائرات شركات طيران البلاد بصورة حصان طروادة الشهير، ضمن حملة عام طروادة، وبدأت في تشييد المتحف في مدينة جناق قلعة، قبل أن يفتتح في 2019 على مساحة 10 آلاف متر مربع، وبكلفة 50 مليون ليرة تركية (6 ملايين دولار).

وأخيراً

تنوير عربي عبر الصدمة

رشا عمران

ظهرت، في بدايات القرن السابع عشر في أوروبا، مجموعة من المفكرين والفلاسفة، شكّلوا حركة سميت حركة النهضة الإنسانية، بدأت أفكارها تنتشر بين العامة عبر اللقاءات العلمية والصالونات الأدبية والمقاهي والكتب والصحافة. كانت تلك الحركة بداية عصر التنوير في أوروبا، والذي مهدت أفكاره لانطلاق ثوراتٍ نتج عنها تحييد سلطة الكنيسة عن الدولة والمجتمع، وإقرار النظام العلماني الذي استمر واستقرت معه مجتمعات العالم الغربي، بعدما مرّت بمراحل عديدة من الثورات الاجتماعية والسياسية والحروب الأهلية والإعدامات (طاولت حتى التنويريين المنظّرين للثورات)، وعودة الملكيات والحروب العالمية والاشتراكية والرأسمالية والليبرالية، وكل ما حدث في العالم حتى منتصف القرن العشرين تقريبا، قبل أن يستقر العالم على وضعه الحالي. لم تقتصر، كما هو معروف، حركة التنوير على الأفكار السياسية والاجتماعية والفلسفية، بل شملت أيضا الفنون بأنواعها، الموسيقى والغناء والرقص والمسرح والسينما، مثلما طاولت الأدب والعلوم، ولعل تراث عصر النهضة، أو عصر الأنوار الإبداعي، هو التراث الأكثر غنىً والأكثر تأثيرا في كل التاريخ البشري، ليس فقط لغزارته، بل لقدرته على الاستفادة من المدارس الإبداعية في التراث العالمي، وتحطيمها، وقيام مدارس جديدة أنتجت لاحقا مفهوم الحداثة في الأدب والفنون، كالدادائية والتفكيكية والتجريدية والوجودية والسوريالية، وغيرها من مفاهيم تركت إرثا مهولا، ولم يستطع عصرنا الحديث تجاوزها، أو إيجاد بدائل عنها. كانت إذاً أفكار التنويريين جذرية في ثوريتها، وفي أفكارها عن الحرية التي دفع بعضهم ثمنها بقطع رؤوسهم بالمقصلة على يد الثوار الذين كان فكر التنويريين يستهدفهم، حتى قيل إن «الثورة تأكل أبناءها»، في إشارة إلى أن ثمن التغيير كبير جدا، ويدفعه أول من يدفعه المنظّرون والمنتمون له. لم تقبل تلك الأفكار المهادنة في الثورة، أو في مفهوم الحرية. كانت أفكارهم عن الحرية تشمل كل شيء، الحرّيات السياسية والحريات الفردية والتسامح الديني وحرية الرأي ضد الصوت التعسفي الوحيد والعقيدة الثابتة للسلطة الكنسية والسياسية. والأمثلة عما كتب وقيل عن مفهوم الحرية في عصر الأنوار أكثر بكثير من أن تُحصى أو تُذكر. ولعل كتابات عمانوئيل كانط عن الحرية والعقل مثال واحد، وليس وحيدا، عن مفهوم الحرية في عصر التنوير. ومن نافل القول إن مجتمعاتنا العربية هي اليوم الأكثر حاجةً إلى حركة تشبه نهضة أوروبا تلك، فالتحالف الوثيق بين السلطتين الاستبداديتين، الدينية والسياسية، عطّل العقل العربي، وجعل مفهوما كبيرا، كمفهوم الحرية، مجزّأً ومفتتاً، حتى أفرغ من معناه. وهذا على الأقل ما ظهرت نتائجه خلال العقد الماضي مع الربيع العربي، وفي كل بلدانه. وضمن المعطيات الحالية، لا يبدو أن وضعا كهذا سوف يتغيّر في القريب المنظور، بل يتضح أنه سيحتاج عقودا كثيرة، قبل أن يتخلخل بنيان ذلك التحالف، فما حدث كله ليس سوى طرقات مطرقة في ذلك الجدار الثابت، طرقات عالية وقوية، لكنها لا تكفي لهدم حجر واحد من الجدار الذي أخفى تحته العقل العربي الجمعي ومبدأ الشك والتفكير، اللازميْن لأي تغيير، تاركا للغرائز والقطيعية أن تنطلق على هواها. ويزيدون الوضع سوءا من يتصدرون مشهد «التنوير» حاليا مع انتشار وسائل التواصل التي باتت في متناول الجميع، فهم، في الأفضل منهم، ينطق مفهوم الحرية لديهم عن الهوى، فلا يرون في اعتقال عشرات آلاف الشباب وتعذيبهم حتى الموت في سجون الطواغيت اعتداءً على الحرية، إلا إذا كان الطاغية معاديا لإيديولوجيتهم، (دينية/ مذهبية أو قومية أو سياسية). ويهاجم آخرون من مدّعي التنوير الدين الإسلامي، باسم الحرية، من دون أي ذكر لتحالف المؤسسة الدينية مع السلطة السياسية الطاغية، وحدّث عن هؤلاء ولا حرج. وثمّة نوع آخر من «التنويريين» يحتلون المشهد الحالي. والغريب أن معظمهم نساء، مؤيدون للأنظمة الطاغية بدون التباس، ويظهر «تنويرهم» المفترض في عرض حياتهم الشخصية (اللباس، شرب الكحول، السياحة، السهر) على وسائل التواصل، بوصف ما يفعلونه دعوة إلى تنوير المجتمع عبر «الصدمة». أما الحريات السياسية وحرية الرأي فليست من «الأنوار»، فالمطالبون بها قد يدفعون أثمانا باهظة، وهؤلاء طبعا لن يدفعوا ثمن أي شيء، بل العكس ربما يقبضون مقابل ما يعرضونه على وسائل التواصل.

> لعل كتابات كانط عن الحرية والعقل مثال واحد، وليس وحيداً، عن مفهوم الحرية في عصر التنوير

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**